

سلسلة أمراء البيت الحرام من الهاشميين

محمد ﴿أبو نمي الأول﴾ ابن الحسن بن علي بن قتادة أمير مكة خلال خمسين سنة

■ بقلم الدكتور نوح الفقيه

محمد بن حسن بن علي بن قتادة، ومعلوم أن قتادة شريف حسني^(١)؛ ثبت نسبه إلى النبي ﷺ، وقد نسب عدد من المؤرخين محمداً (أبا نمي الأول) إلى قتادة؛ ومن هؤلاء المؤرخين ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ / ١٢٧٣ م^(٢)، والعسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م^(٣)، وذكره ابن تفرري بردي المتوفى سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م^(٤).

ولد محمد أبو نمي الأول عام ٦٣٠ هـ^(٥) ونشأ وترعرع في بيوت أمراء مكة، وكان شجاعاً حازماً، قال ابن كثير: (الشريف أبو نمي؛ محمد بن الأمير أبي سعد؛ حسن بن علي بن قتادة الحسني؛ صاحب مكة منذ أربعين سنة، كان حليماً، وقوراً، ذا رأي وسياسة وعقل ومروءة)^(٦). وقال العسقلاني: (كان شجاعاً، تام القامة، حسن الصورة، مهيباً، كريماً، عاقلاً جداً، ذا رأي صائب ومروءة، وكان شجاعاً؛ يقال: إنه لم يكن في بدنه مقدار شبر إلا وفيه جرح، وما قصده أحد فرجع خائباً، وكان يخفر الحاج بنفسه وأهله، ولم يحفظ أنه نهب أحداً قط، وكان الحاج والمجاورون

وقصدوا مكة، فدخلوها من رؤوس الجبال، وتقاتلوا وسط مكة هم وعسكر الملك المظفر صاحب اليمن.

وفي سنة أربع وخمسين وستمائة استظهر إدريس على أبي نمي بإمرة مكة ثم اشتركا.. وفي سنة تسع وخمسين وستمائة حج الملك المظفر يوسف بن الملك المنصور صاحب اليمن معه المراكب تساييره في البحر مشحونة بالعلوفات والأطعمة، وأكثر في طريقه من الصدقات وفعل الخيرات والمبرات، والشريف أبو نمي، وعمه إدريس متولين إمرة مكة، فلما سمعا به خرجا خوفاً منه.

واستمر أبو نمي وعمه إدريس متولين إمرة مكة إلى سنة سبع وستين، ثم انفرد بها أبو نمي، وأخرج عمه إدريس منها، وخطب لصاحب مصر الملك الظاهر بيبرس، واشترط عليه السلطان أن لا يمنع زائراً لا ليلاً ولا نهاراً، ولا يعترض تاجراً بظلم، وأن تكون الخطبة والدعاء له، ولأبي نمي، وجعل له عشرة آلاف درهم في كل سنة، فأجاب الشريف أبو نمي بقبول هذه الاشتراطات.

فلما ورد إلى السلطان من أبي نمي الإجابة بالسمع والطاعة وقبول ما اشترطه، كتب السلطان إليه مرسوماً بإمرة مكة

يدعون بحياته: لشفقته عليهم، وله شعر جيد، وأنجب أولاداً؛ يقال: إن عدتهم كانت أربعين نفساً؛ ثمانية وعشرون ذكوراً، والبقية إناث؛ قال ابن فضل الله: كان معه جرأة، ومفرج كرب، والملوك تراه بعين الإجلال، وتترآه كراي الهلال، هو يبعد عنهم بعد الصائد من فحه، وينفر نفرة الغراب من فرخه، إلى أن أدركه أجله، وخانه أمله، وأنشد له ما كتب به إلى بعض الملوك:

أراك طبيب المستغرقين وإنني لمن

بيت أهل الخير بيت محمد

وهاد رأى البطحاء في بطن مكة

وفيها مماتي إذا مت ومولدي

ومن زمزم الفيحاء وردي على الظمأ

فهل ثم ماء في المياه كموردي^(٧)

أقام في إمرة مكة أربعين سنة أيام السلطان الملك الظاهر بيبرس^(٨) ومن بعده، وشارك ولده مدة يسيرة في إمرتها، ثم استقل في إمرتها إلى أن توفي^(٩)؛ قال عبد الملك العصامي -المتوفى سنة ١٠٤٩ - ١٦٣٩م-: (في عام ثلاث وخمسين وستمائة جمع الشريف أبو نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة، وعمه الشريف حسن بن قتادة جمعاً عظيماً،

منفرداً.

ثم كتب بيبرس لأبي نمي وإدريس أن يكون حالهما واحداً في إمرة مكة؛ فعاداً شريكين، ثم انفرد إدريس بها أربعين يوماً، ثم قتل أبو نمي عمه إدريس في حرب كانت بينهما، واستقل بالولاية منفرداً وذلك في سنة تسع وستين وستمائة.

وفي سنة تسع وثمانين وستمائة وقع بين الشريف أبي نمي وبين الحاج فتنة وانتهى الأمر إلى أن دخلوا الحرم، ورؤي في الحرم الشريف أكثر من عشرة آلاف سيف، وفي موسم إحدى وتسعين وستمائة وقعت بعرفة جفلة عظيمة، وتعبت الناس من قلة الماء، فبيعت الراوية بأربعة دنانير، ورحل الحاج قبل وقته المعتاد، واستمر إلى أن أخرجه جماز أمير المدينة وغانم بن إدريس بن حسن ابن قتادة أمير ينبع، وأخرجوا أبا نمي منها في صفر من سنة تسعين وستمائة، ثم عاد أبو نمي بعد أربعين يوماً وأخرجهما منها، ثم وليها جماز بن شيخة بمفرده عام سبع وتسعين وستمائة بمعاونة أمير يقال له: الحكاحكي كان بمكة من قبل الملك المنصور قلاوون صاحب مصر والشام، ثم عاد أبو نمي، وتفرّد بها ودامت ولايته عليها إلى أن مات عام إحدى وسبعمائة، فولى أبو

نمي محمد هذا مكة نحو خمسين سنة، وقبل موته بيومين ولّى ولديه حميضة ورميثة أمر مكة^(١٠).

كان مشاركاً لأبيه في إمرة مكة، وكان يكنى أبا مهدي، ويلقب بنجم الدين، وسبب مشاركته أن راجحاً بن قتادة عم والده استتجد أخواله بني حسين بالمدينة، وطلب منهم الإعانة على إخراج ابن أخيه والد أبي نمي من مكة، وأخذها منه، فسار معه من المدينة سبعمائة فارس من بني حسين وجماعتهم، وعليهم الأمير عيسى الملقب بالحرّون؛ فارس بني حسين في زمانه، وكان أبو نمي في ينبع، فلما بلغه خبر راجح قصد مكة؛ لنصرة أبيه في أربعين فارساً، فلما تراءى الجمعان حمل أبو نمي عليهم فما حملوه لحظة، حتى ولّوا هاربين إلى المدينة، فقال السيد جعفر الحسيني النسابة قصيدة يذكر فيها الواقعة، ويمدح أبا نمي؛ فقال:

أَلَمْ يَلْبُغْكَ شَأْنُ بَنِي حُسَيْنٍ

وَفَرَّهْمُ وَمَا فَعَلَ الْحَرُونَ

فَيَا لِلَّهِ فِعْلُ أَبِي نُمَي

وَبَعْضُ الْبَاسِ يُشَبِّهُهُ الْجُنُونُ

يَصُولُ بِأَرْبَعِينَ عَلَى مَبَاتٍ

وَكَمْ مِنْ كَثْرَةٍ ظَلَّتْ تَهُونُ

والحلم والشجاعة والشعر.

وكان إذ ذاك عمره سبع عشرة سنة، ثم دخل مكة مسروراً منصوراً، فقابلته أبوه بالإعزاز والإكرام، وأشركه معه في الملك من حينئذ، وكانت له شجاعة مشهورة، وخصال حميدة مذكورة. قال ولده حميضة: كانت لأبي خمس خصال: العز والكرم

مات بمكة رابع شهر صفر سنة إحدى وسبعمائة - ٧٠١ هـ - ١٣٠١ م- وصلي عليه صلاة الغائب بالقاهرة، وقد أناف على السبعين، وله من الولد ثلاثون ذكراً واثنى عشرة أنثى، منهم: زيد الأكبر، وزيد الأصغر، وأبو الغيث، وشميلة، وعطيفة،

الهوامش:

١- هكذا نسبه المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ في كتابه الموسوم بـ (السلوك لمعرفة دول الملوك ج١/ ص ٦٠)، وابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤ هـ في كتابه (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج٨ ص ١٩٩).

٢- البداية والنهاية لابن كثير ج١٤ ص ٢٥.

٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج٣ / ص ٣٧٢.

٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ج٨ ص ١٩٩.

٥- الأعلام للزركلي ج٦ / ٨٦.

٦- البداية والنهاية لابن كثير ج١٤ ص ٢٥.

٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج٣ / ص ٣٧٢.

٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ج٨ ص ١٩٩.

٩- السلوك لمعرفة دول الملوك للمقرئ ج١ / ص ٦٠.

١٠- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ج٢ / ص ٣٩٦-٤٠٠.

١١- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ج٢ / ص ٤٠٠.

